المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:07، العدد:02 (2023)، ص351-368

القضايا المغاربية في اهتمامات حركة الشبان التونسيين 1911/1920م

The Maghreb issue in the interests of the Tunisian youth movement 1911/1920

ربيع جمعة*
مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور
جامعة المدية (الجزائر)
nourimane871@gmail.com

محمد بوطيبي
جامعة المدية (الجزائر)
bt.med@hotmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2023/06/26
تاريخ القبول:
2023/08/19

الكلمات المفتاحية:
- ✓ حركة الشبان التونسيين
- ✓ شمال إفريقيا
- ✓ الجامعة الإسلامية
- ✓ النضال المغاربي

الملخص:

تتناول الدراسة حركة الشبان التونسيين التي تأسست عام 1906، باعتبارها حركة رائدة في المغرب العربي خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية، حيث اهتمت الحركة بالإصلاح الاجتماعي، وسياسة التشريك في إدارة البلاد، غير أن صدمة عام 1911 /1912 جعلت السلطات الفرنسية تبعد العناصر الوطنية في حركة الشبان، مما جعلهم يغيرون لهجته الإصلاحية التي تحولت للجانب السياسي مستغلة الدعاية الألمانية في شمال إفريقيا ضد دول الحلفاء. فما مدى مساهمة حركة الشبان التونسيين في القضايا المغاربية خلال الفترة الواقعة ما بين 1911 /1920؟ وفيما تجسد ذلك النضال المغاربي؟

Article info

Received:
26/06/2023
Accepted:
19/08/2023

Key words:
- ✓ Tunisian Youth Movement
- ✓ North Africa,
- ✓ pan-islamism
- ✓ Maghreb Struggle

Abstract:

The study deals with the Tunisian Youth Movement, which was founded in 1906, as a pioneering movement in the Arab Maghreb during the French colonial period. This made them change his reformist tone, which turned to the political side, taking advantage of German propaganda in North Africa against the Allied countries. What is the extent of the contribution of the Tunisian youth movement to Maghreb issues during the period between 1911/1920? In what embodied the Maghreb struggle?

* المؤلف المرسل

مقدمة

حتمت جملة من العوامل والظروف النضال المشترك فيما بين الحركات الإصلاحية والوطنية المغاربية، حيث راحت تبنى أعضاء هذه الحركات القضايا المحلية والإقليمية. ومن هذه الحركات مثلا: حركة الشبان التونسيين فيما بين 1907/1920 التي ساهمت في الدفاع عن القضايا العادلة الشعوب شمال إفريقيا، وهو الهدف المنشود لتحيق الإخوة والترابط فيما بين الشعوب المغاربية التي مزقتها الحركة الاستعمارية الأوروبية. فحركة الشبان التونسيين التي جاءت في فترة عسيرة تميزت بها الظروف المغاربية عامة التونسية خاصة، إلا أنها أخذت على عاتقها القضايا المغاربية في مطلع القرن العشرين. ولإبراز قيمة النضال المغاربي فقد اعتمدنا هذا الموضوع للدراسة من خلال الوثائق الأرشيفية التي تمكنا الاطلاع عليها، مركزين على القضايا الإقليمية في اهتمام الحركة دون القضايا المحلية، معتمدين المنهج الاستقرائي الاستنباطي الذي يتماشى مع طبيعة دراسة الموضوع. **فما هي حركة الشبان التونسيين؟ وما هي مظاهر النضال في حركة الشبان التونسيين ما بين عامي1911/ 1912م؟ وما هي السبل والوسائل التي اعتمدتها الحركة من أجل النضال من أجل القضية المغربية في العقد الأول من القرن العشرين؟**

1.تعريف حركة الشبان التونسيين

تأسست حركة الشبان التونسيين على يد مجموعة من المناضلين التونسيين، المتأثرين بحركة تركيا الفتاة، حيث أطلق(S.M.N.T 1917/1937, f5/30.) هذا الاسم من طرف تريدون دي كرينيار رئيس مجلة المعمر الفرنسي le colon français في مطلع القرن العشرين،)بحيث تأسست حركة الشبان التونسيين في السابع فيفري 1907م. ومن المعلوم أيضا فقد أسس أعضاء الحركة جريدة التونسي الناطقة باللغة الفرنسية (le tunisien) للتعبير عن مطالبهم إزاء الحالة الاجتماعية التونسية، ومن أشهر محرري الجريدة: علي باش حانبه: المدير السياسي، محمد الأصرم، حسن قلاتي، عبد الجليل الزاوش، الصادق الزمرلي: مترجم ومرر بالعدالة التونسية، والأديب محمد النعمان (S.M.N.T, 1917/1937 , f5/30.).

2.المشارب الفكرية والإيديولوجية لعناصر حركة الشبان التونسيين

ضمت حركة الشبان التونسيين عناصرَ من مختلف الاتجاهات والمشارب الفكرية، فمنهم الذين تخرجوا من المدارس العليا الفرنسية، والذين كانت لهم صلة بالمدرسة الصادقية التي تبنت الفكر والتعليم العصريين في مناهجها الدراسية، وكذلك عناصر من النخبة الزيتونية، وجماعة الحاضرة. هذه العناصر التي تبنت أفكار الحداثة والعصرنة الاجتماعية التي كانت تتطلع للوصول إليها.

وعن اتجاهات الحركة فقد صنف الباحث خالد قزمير في "**كتابه فرسان الحرية**" بأن الحركة ضمت ثلاث اتجاهات، حيث استقطبت البشير الصفر ذو النزعة المحافظة العربية الإسلامية، الذي كان له دور في قطيعة في عام 1910 بالتعاون مع الشيخ عبد العزيز وجماعة الزيتونيين ضد التيار المعتدل الذي كان يريد الذوبان في الحضارة الفرنسية من جهة، وضد التيار الذي استخدم العنف ضد الإدارة الفرنسية (قزمير، 2011، ص 73).

والتصنيف الأخير يعتمد على معلومات جاءت في رسالة المقيم العام الفرنسي في تونس الذي أرسلها إلى وزارة الخارجية الفرنسية خلال أزمة الترام عام 1912م، حين اجتمع وزير القلم التونسي بجماعة الشبان التونسيين. والذي يصنف الحركة إلى ثلاث اتجاهات:

- **الأول** هو التيار المعتدل ويضم البشير الصفر، خير الله بن مصطفى، والعجيمي والعقبي.
- **الثاني** يمثل الواقعيين يملهم عبد الجليل الزاوش.

أما التيار الثائر الذي يعتمد أسلوب العنف فهو يمثل علي باش حانبه، عبد العزيز الثعالبي ومحمد النعمان (قزمير، 2011، ص 82) وهم الذين كان لهم دور في تحريض المجتمع التونسي على المظاهرات ومقاطعة ركوب الترام ما بين 1911م/ 1912م.

وإذا تحدثنا عن التيار الواقعي نجد بأنه لم يتردد أحيانا في إظهار مفاسد الإدارة التونسية دون الخدش في إدارة الحماية الفرنسية, وعلى رأسها الباي التونسي الذي اعتبره عبد الجليل الزاوش بأنه: حاكم مستبد ضد الشعب التونسي الذي ظلت حالته على حالها منذ فرض نظام الحماية عللا البلاد التونسية منذ عام 1881, بقوله: "... **يظل الأهالي، كما كانوا قبل عام 1881، تحت الرحمة المطلقة لسلطة الباي, له عليهم حق الموت والحياة ويمكن له دون تبرير نفيهم وإبعادهم, إن أمرا واحدا يمكن أن يخرب بضربة واحدة كل أمالهم وأن يحجز عنهم اليوم كل ما كان عنهم بالأمس, ولا يستطيع القضاء ذاته أن يوفر لهم أي أمان...**" (الدقي، 1999، ص 54).

ومن الذين تلقوا تعليمهم في المدارس أو الكليات الفرنسية مثلا: المحامي حسن قلاتي، محمد النعمان، علي باش حانبه، محمد الأصرم، عبد الجليل الزاوش، (الدقي، 1999، ص ص65- 233-252).

وكذلك من العناصر الزيتونية مثلا: الشيخ عبد العزيز الثعالبي. فكانت هذه النخبة تنتمي لمختلف الفئات الاجتماعية التونسية، فمنهم الذين مارسوا مهن التدريس، الأعمال الحرة، والمحاماة، الإدارة، وغيرها، ينتمي بعضهم للطبقة البرجوازية منهم خير الله، علي باش حانبه، عبد العزيز الثعالبي، وعبد الجليل الزواش (carmel sammut,1983,p237). محمد الأصرم، محمد بلخوجة، الشاذلي درغوث، حسونة العياشي، علي بوشوشة، في الحين كان الآخرون ينتمون للطبقة الوسطى كمحمد النعمان. (قزمير،2011، ص07.) هذه العناصر اتفقت كلها على ضرورة تحسين الأوضاع الاجتماعية التونسية، والمشاركة في الحياة السياسية تحت الإدارة الفرنسية.

3.برنامج ومطالب حركة الشبان التونسيين

لقد حددت حركة الشبان طبيعة نشاطها من خلال البيان الذي جاء في العدد الأول من جريدة التونسي، الذي نص على ما يلي: "**بأن التقدم الحاصل في السياسة الفرنسية بدأت تظهر ثمارها، بتكوين جيل جديد متعلم باللغة الفرنسية، وتركت بصمة قوية وتركت أفكارا عظيمة، بحيث تعتبر المحرك لتلك الشبيبة، التي بدأت تأخذ مكانها في المجتمع التونسي، وتشارك في الحياة العملية، وحركة التجديد المنجزة**" S.M.N.T, 19-7- (1937, f5/3).

وإن كانت حركة الشبان التونسيين اعتمدت أسلوب المهادنة والاعتدال اتجاه الإدارة الفرنسية في تونس (الدقي، 1999، ص 13)، فقد سجلت مواقف عدائية ضدها في الكثير من الأوقات جعلتها تصطدم بالإدارة الفرنسية في وقت مبكر منذ التأسيس، وكانت سببا في تشتيت عناصر حركة الشبان التونسيين في نهاية 1912م.

ومن العناصر البارزة في الحركة عبد العزيز الثعالبي الذي عدل عن الاشتراكيين وانضم إلى حركة الشباب (حزب الشباب التونسي) وكان أحد الأعضاء المؤسسين لها عام1907م، فعهد إليه تحرير النشرة العربية من جريدة التونسي عام 1909م المتأثرة بتركيا الفتاة والتي طالب فيها الثعالبي بفتح الحوار مع السلطات الفرنسية واحترامهم معاهدة الحماية. (خالد,2001، ص48). فالمقالات الفرنسية كان يكتبها علي باش حانبه أو عبد الجليل الزواش أو حسن قلاتي أو الصادق الزمرلي في جريدة التونسي الناطقة بالفرنسية (le tunisien)، كان عبد العزيز الثعالبي محرر الصحيفة العربية التونسي يترجمها و يمضيها بالعبارة سانحته بالحرف العربي (ث).

فعندما انضم الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى حركة الشبان كان سنة 1907م (خالد،2001، ص48، 49)، أصدرت حركة الشبان جريدة "**الاتحاد الإسلامي**" التي أشهرها ضد الفساد والسياسة والمفاسد الأخلاقية والقضايا الاجتماعية في البلاد (مناصرية، 1988، ص229)، فالإتحاد الإسلامي هو جريدة إسلامية أسبوعية صدرت منذ 19 أكتوبر 1911م إلى غاية 6 نوفمبر 1911م في ستة أعداد فقط، من إصدار علي باش حانبه، عبد العزيز الثعالبي والبشير الفورتي (حمدان، 1991، ص 256)، هدفه النضال من أجل الوحدة الإسلامية بعد الاحتلال الايطالي لليبيا عام 1911م.

واعتبرت حركة الشبان التونسية بأن السلطات الفرنسية غيبت المؤسسات التشريعية السياسية، بحيث يفتقد الأهالي التونسيون لمثل هذه المؤسسات للتعبير عن انشغالهم ومطامحهم، لذلك جاءت جريدة التونسي للتعبير عن الأهالي في انتظار بأن تسمح السلطات الاستعمارية للتعبير عن انشغالاتهم في المؤسسات الانتخابية، حيث بينت خلاصة الكلام الذي جاءت في نص العدد الأول السياسة الفرنسية المنتهجة في البلاد التونسية. (S.M.N.T, M.R.E, 19-7-1937; f 7/32).

4.القضية الليبية في اهتمامات حركة الشبان التونسيين

عشية الاحتلال الايطالي لليبيا عام 1911م ذكرت مجلة الاقتحام التركية عن هذه اللجنة- حركة الشبان التونسيين – باعتبار أن القضية هي مؤامرة ضد الشعوب الإسلامية في الهند وتونس وغيرها، باعتبار أن احتلال ليبيا من طرف الإيطاليين جلب الكره والعداء من طرف علي باش حانبه والمسلمين عامة -01; R Stamboul (04-1912;p2.).

فالمعروف أن حركة الشبان التونسيين أسست جمعية الاتحاد الإسلامي، وجعلت جريدة ناطقة باسم هذه الأخيرة، تعرف باسم "**الاتحاد الإسلامي**" للدفاع عن القضايا الإسلامي في إطار ما يسمى بالجامعة الإسلامية، التي لقيت صدى لا بأس به لدى التونسيين في الاستجابة لأفكار محمد باش حانبه ورفاقه من الشبان التونسيين، فقد أرسلت مجموعة من التونسيين ينتمون لمختلف الجهات التونس رسالة إلى رئيس الاتحاد الإسلامي، أهم ما

جاء فيها: "**إلى الألمع والوطني سيدي محمد علي باش حانبه خفضه الله ورعاه. لقد بينت الحكومة الإيطالية شعورها المهين للعالم الإسلامي واتجاه الباب العالي باحتلالها لطرابلس الغرب. وأن شعورك الديني دفعنا لتأسيس جمعية أهلية متكونة من مجموعة ذات القلوب العربية**". وأن جميع السكان التونسيين هي خدمة مسعاكم الإسلامي.

لقد وقفت حركة الشبان التونسيين فعلا مع المقاومة الليبية ضد الايطاليين في عام 1911م, فمن خلال الرسالة المؤرخة من السيد فريد قائم مقام نالوت بتاريخ 30 أكتوبر 1911م, يشير فيه إلى التواصل بواسطة التلغراف بين الطرفين, وشكر الإخوة المجاهدين الأتراك والمتطوعين المغاربة في ليبيا لمحمد باش حانبه، يطلبون منه قائمة من الأدوية التي بحاجة المقاتلون في الأراضي الليبية، يخبره فيها بالانتصارات المتواصلة التي حققها الجنود الأتراك مع المتطوعين العرب في ميادين القتال، بقوله: "**أن المقاتلين العثمانيين والمتطوعين يهاجمون العدو ليلا ونهارا, وهم يحققون الكثير من الانتصارات**" وأن النصر قريب مع دعوته لإرسال بعض الجرائد إلى ليبيا. ((A.N.T; 30-10-1911 ; DOC:64.) في الوقت الذي أشارت الاستخبارات الايطالية بأنها وصلت إلى معلومة، قدمها السيد راسبولي المكلف بالشؤون الايطالية في باريس مفادها: " **أن محمد باش حانبه كان يقود مجموعة من المجاهدين في الأراضي الليبية عشية الاحتلال الإيطالي لهذه الأخيرة**" (A.N.T; 31-08-1915; DOC:161.).

يبدو بأنه كان لحركة الشبان التونسيين دور في تجنيد المقاتلين من المتطوعين في التراب في صفوف المقاومة الليبية, بحيث تم العثور على رسالة لأحد القادة السبايسية من جهة بوسعادة الجزائرية، المسمى الحاج إدريس بن الحاج الطيب البوسعادي، الذي تولى منصب بيرقا دير سبايس في الوطن التونسي، وهو يطلب من علي باش حانبه المساعدة لإرساله إلى الجهاد في سبيل الله ضد الغزاة الايطاليين في رسالة تدل على مكانة محمد باش حانبه في تجنيد المقاتلين المغاربة في طرابلس بين الايطاليين والأتراك والليبيين، جاء فيها ما يلي: "**ينفتق جوابنا عن سياسة ناصر الحق سيد أقرانه الفاضل الكريم سليل ومعدن الجود والأدب يهني المتقلد بمواقع المسلمين فهو سيدي علي باش حانبه**" على حد قوله: "...**واليوم فها أني طالب وجه الله لتقدم إلى طرابلس غلى الموضع الذي فيه في سبيل الله ... واليوم يا سيدي فالمطلوب من فضل الله ثم منك أن ترسلني إلى ذلك المجاهدين عليك نضر من الله وفتح قريب...**" (A.N.T 25-02-1911 ; DOC:87.)

لقد تزامن عمل حركة الشبان التونسيين على تجنيد التونسيين المتطوعين في حرب لبيبا مع جمع التبرعات المالية كذلك، فحسب الشيخ عبد العزيز الثعالبي فإن المناضل علي باش حانبه جمع مبلغ 47000 فرنك فرنسي منها 7000 فرنك عدها الثعالبي بنفسه، منها بأن الأول أخذ كل المبلغ لنفسه، ونحن لا نستطيع أن نثبت أو ننفي ذلك التهام الخطير (A.N.T; 03-1914; DOC:147.).

تزامنا مع احتلال إيطاليا لليبيا في عام 1911م، وتعاطفا مع الشعب الليبي والدولة العثمانية، فقد تعاون عناصر حركة الشبان التونسيين بتقديم اشتراكات مالية قدمت لمحافظ الهلال الأحمر للتضامن مع المقاومة

الليبية. فقد شهدت البلاد التونسية أحداث الترام, التي أدت اندلاع مظاهرات في البلاد عام 1912م, بسبب دهس فتى مسلما في عمره ثماني سنين بتاريخ التاسع نوفمبر 1912م, أدى إلى اضطراب في البلاد، فكانت الدعوة من عناصر حركة الشبان لمقاطعة ركوب الترام الذي كانت تمتلكه شركة إيطالية, والتصعيد للمطالبة بالمساواة في الأجور بين التونسيين والأوروبيين، بحيث أضفت التحقيقات الأمنية بأن حركة الشبان وعلى رأسها علي باش حانبه عن ضلوعها في هذه الاضطرابات، وشكلت لجنة من التونسيين للمطالبة بحقوق العمال التونسيين خلال الظرف الأمني العصيب التي كانت تتخبط فيه البلاد (S.M.N.T, M.R.E 19-7-1937, f11/36.).

وعن أحداث الطرام 1912م التي عرفت مشاركة عبد العزيز الثعالبي وأحمد توفيق المدني وحسن قلاتي، وفي سياق أحداث الزلاج يبين أحمد توفيق المدني دوره في تأجيج الوضع دفاعا عن الأرض قائلا: "**وكنت من بين الذين يطوفون في الأسواق والمقاهي، وأنادي بأعلى صوتي: نموت ولا نسلم زلاجنا ويتأثر الناس بكلماتي، أكثر مما كانوا يتأثرون كلمات الذين هم أكبر مني سنا، وكان مجال عملي بين أسواق تونس وبطحاء الحلفاويين**" (توفيق المدني، 1973, ص 43).

أما عبد العزيز الثعالبي فكان من العناصر الناشطة في أحداث التراموای 1912م فقام بحركة تحسيس رفقة معاونيه بالاتصال بالأهالي في المنازل، المقاهي والأحياء الشعبية، منها باب السويقة، والحركة العمالية في الموانئ قصد مقاطعة ركوب التراموای (العقاد، 1993، ص 160).

فأعلنت المقاطعة للشركة في اليوم الموالي للحادث التي استغلها العمال التونسيين الفرصة للمطالبة برفع أجورهم مثل زملائهم الأجانب ودامت المقاطعة قرابة شهر كامل، مما جعل الشركة تستنجد بالسلطة الفرنسية.

فجماعة الشباب التونسيين فقد عينوا لجنة متكونة من المحامي الفرنسي دستري رئيسا للجنة وأعضاء تونسيين آخرين هم علي باش حانبه، حسن قلاتي، أحمد الصافي، الشاذلي درغوث ومحمد العروي، وقدمت اللجنة مجموعة من الشروط مقابل التراجع عن المقاطعة، ونتيجة بث الوعي القومي من طرف حركة الشباب التونسي (خالد،1985، ص 4 3).

فقد تمخض عن أحداث الزلاج 1911م ومقاطعة الطرام 1912م إلى شل نشاط حركة الشبان التونسيين، ونفي قيادتها من تونس، مثل: علي باش حانبه1وعبد العزيز الثعالبي ومحمد النعمان [1] وسجن مختار كاهية.

5. مظاهرات 1912/1911م وتحول نضال الحركة إلى المهجر

فبعد أحداث الزلاج 1911م علي باش حانبه إلى إسطمبول، وعين هذا الأخير في منصب حساس في الإدارة التركية، واستغل ظروف الحرب العالمية الأولى، وأسس رابطة باسم "**جمعية الحرية الإسلامية**" هدفها الثورة أهالي شمال إفريقيا ضد الفرنسيين خلال الحرب العالمية الأولى، حسب المعلومات التي قدمها القائد التركي شريف باشا المحكوم عليه بالإعدام غيابيا من طرف جمعية الاتحاد والترقي.

وإذا كان علي باشا استقر في إسطمبولي مع أخيه محمد باش حانبه، فإن هذا الأخير عاد مؤقتا إلى تونس رفقة زوجة أخيه إلى غاية 15 جانفي 1914 (A.N.T; 6-01-1911; DOC:5).

وبعد ذلك استقر في سويسرا ثم برلين منذ أفريل 1920م, بحيث قام هذا الأخير خلال فترة نزوله ضيفا في تونس بعمل ضد الفرنسيين بالتعاون مع التونسيين، ومنهم عبد العزيز الثعالبي الذي حُوكم من طرف المجلس الحربي الفرنسي في تونس بتهمة التأمر ضد الفرنسيين، طبقا للوثائق التي ضبطتها الجهات الأمنية الفرنسية التي تثبت تورطه مع زميله محمد باش حانبه والعناصر الشبابية الأخرى، منهم محمد صالح بن يحيى، إبراهيم الرياحي، وفرحات بن عياد، محمد صالح بن يحيى، هذا الأخير الذي كان أحد الأعضاء البارزين في التنظيم المعادي للسلطة الفرنسية. لذلك فقد أصدرت السلطات الإدارية مرسوم 12 جويلية 1917م في الجريدة الرسمية التونسية في العدد 57 الصادر بتاريخ 18 من نفس الشهر لقباضة الدومان ببيع ممتلكات محمد باش حانبه والطيب الجميل بسبب عدائهم للسلطات الفرنسية (.N.T;04;07,1918, doc 27.).

وكان المناضل محمد باش حانبه والتونسيين على علاقات ذات اهتمام مشترك بالدولة العثمانية، فقد وجدناه رفقة مجموعة من الشباب التونسيين، منهم : حسن بن رايس، الطيب بن رايس، محمد بن الضياف،... وغيرهم يودعون ثلاثة من التونسيين كانوا متجهين إلى العاصمة التركية إسطنبول، وذلك حسب التقارير الرسمية الفرنسية ذاتها، **فالأول** هو أحمد الزمرلي الذي كان بصدد رحلة قصيرة المدى، **والثاني** هو عبد العزيز بن الشيخ الذي كان في زيارة لأخيه الذي كان تربص عسكري في إسطنبول، بينما **الأخير** هو محمد بن رايس الذي ارتحل من أجل الاستقرار في الدولة العثمانية، فالأكيد أن هذه الزيارة كان من ورائها على الأقل ربط العلاقات بين التونسيين وأبناء جلدتهم في الدولة العثمانية (.A.N.T; 16-06-1913; DOC:3). الوقت الذي أشارت الوثائق الأمنية الفرنسية اعتراف محمد علي باش حانبه عشية زيارته إلى تونس في شهر جانفي 1914م بصداقته وحمايته من طرف وزير الداخلية العثماني طلعت باشا (A.N.T; 21-01-1914; DOC:45).

يبدو أن علاقة التونسيين والعرب لم تكن مريحة في إسطنبول، خاصة بعد وصول جماعة الاتحاد والترقي للحكم، وبداية اشتداد الصراع بين القوميين العرب في إيالات المشرق العربي التابعة للدولة العثمانية للمطالبة بالإصلاح واللامركزية الحكم، الذي وصل إلى حد المطالبة بالاستقلال. وقد أشرنا في هذا المقال إلى رغبة علي باش حانبه للانتقال للإقامة في القاهرة، كما أشار إلى هذا الوضع حمودة بوطغان بعد عودته إلى قادما من إسطنبول، مشيرا للوضعية المريرة التي كان يعاني منها التونسيين وبالخصوص الإهانة والمتاعب التي كانت تلاحقهم من طرف حركة تركيا الفتاة، وهذا ما جعل الكثير منهم يفكرون في العودة للديار التونسية، ومنهم علي باشا الذي فكر في تغيير إقامته خارج الديار التركية (.A.N.T; 06-02-1914;DOC:144). فجماعة الاتحاد والترقي كانت تنظر للعرب على أساس أنهم ملة واحدة، سواء كانوا مغاربة أو مشارقة لا يمكن الثقة فيهم، في الوقت الذي كانت تنظر إليهم السلطات الفرنسية بأنهم يتعاملون مع الدولة العثمانية لنصرة الجامعة الإسلامية ضد الغرب المسيحي.

وحسب شهادة التونسيين العائدين من إسطنبول إلى البلاد التونسية في مارس 1913، ومنهما السيدين بوردكباش وعبد العزيز بن الحاج العربي بن الشيخ فقد تخلصت جماعة الاتحاد والترقي من عبد العزيز الثعالبي،

وذلك بنفيه للشرق الأقصى كولومبو أو بومباي، ومحمد النعمان الذي توجه للقاهرة، بينما تم تنصيب محمد علي باش حانبه في منصب سياسي من طرف الحكومة الباب العالي في فرنسا،-03-03 (A.N.T;1913;DOC:117.) لكن الأخبار التي حملها صديقه حسن قلاتي باعتبار أن قلاتي قام بزيارة إلى تركيا، فهي تشير بأن علي باشا تم تنصيبه مفتشا للعدالة التركية في إسطنبول، وهو بصدد إعداد مشروع لإصلاح منظومة العدالة التركية بالتعاون مع وزير العدلية العثمانية، وأن الوزير الأكبر سعيد حلمي باشا طلب منه التشاور معه في المسائل المتعلقة بمشروعه الإصلاحي (A.N.T; s.d ;DOC:118)، غير أن وزارة الخارجية الفرنسية أكدت في رسالة فيفري 1914م خبر تعيين علي باش حانبه كاتبا عاما في الحكومة التركية.

وإذا كان السفير الفرنسي في إسطنبول نفى الخبر السابق في خريف 1913م, فإنه أكد على قيام جماعة الاتحاد والترقي على لم شتات التونسيين المقيمين في إسطنبول من أجل تحريضهم وتعبئتهم ضد فرنسا، ومن هؤلاء التونسيين المتحمسين لهذا العمل العدائي ضد فرنسا، حيث ذكر التقرير بأن الشيخ عمر السنوسي الدكتور أحمد الشريف الذي كان موظفا في قطاع الصحة، مختار بن الشيخ، والأخوين خليل وبشير سعيدي, مع العلم بأن المغاربة الذين تم نفيهم من الجزائريين التونسيين والمغاربة، فبعضهم قد عادوا لإفريقيا والبعض ظلوا مقيمين في الدولة العثمانية (A.N.T;12-09-1913;DOC:118.) .

وإذا كان هذا التضارب في شأن الحزب الحاكم في الدولة العثمانية في شأن المغاربة المقيمين هناك، فيبدو أن الموقف قد تغير بسبب الظرف السياسية الصعبة خلال الفترة الواقعة مابين 1909-1913م. لذلك حاولت جماعة الاتحاد والترقي كسب المغاربة وخاصة العناصر السياسية النافذة في البلدان المغاربية، ومن هؤلاء المناضل علي باش حانبه الذي كرمته الدولة العثمانية بمنزل لائق ومنحته مبلغا ماليا قدره 4000 جنيه جراء مواقفه النضالية المتعلقة بأحداث الطرام 1912م في تونس (A.N.T; s.d; DOC:133). والهدف من ذلك هو تجنيده في السياسة العدائية ضد الفرنسيين في شمال إفريقيا، خاصة وأن بوادر الحرب العالمية قد بدأت تظهر خلال تلك الفترة.

وعن الدعاية الألمانية العثمانية ضد دول الحلفاء فقد ذكرت الوثائق المنية الفرنسية عن أخبار في الأوساط الشعبية التونسية في ماي 1915 تشير بأن السلطات التركية هي بصدد إرسال مجموعة من المناضلين المغاربة في مهمة سياسية إلى الإمبراطورية الألمانية، ويتعلق المر بكل من علي محمد باش حانبه، محمد الخضر حسين، وصالح الشريف (A.N.T; 15-05-1915, DOC:64.) .

وعن التواصل بين عناصر الشباب التونسي بعد عام 1912م، فقد استمر الشبان في نشاطهم السياسي بتنظيم الاجتماعات السرية في تونس والتواصل مع العالم الخارجي، حيث تم عقد اجتماع براناي القريب من شارع ألمانيا واجتماعات أخرى في شارع فرنسا، منزل الشاذلي القسطلي، سوق القصر، وغيرها من تجمعات عناصر حركة الشبان التونسيين التي تنشط سريا في البلاد التونسية، بحيث اعترفت الجهات الأمنية الفرنسية بعثورها على العديد من الجرائد الناطقة باللغتين الفرنسية والتركية منها جريدة "**سطمبول**" و"**تركيا الفتاة**". ومن

هؤلاء نذكر: الصادق الزمرلي، أحمد قاسمي، حسن قلاتي، محمد باش قبل نفيه إل تركيا، سالم الزاوش، حميد الزاوش، أحمد قلاتي، بن عودة، محمد بورقيبة وبشير بن مصطفى. (A.N.T;25-03-1914;DOC:14.)

وقبل ذلك التاريخ فقد وصلت إلى جهاز الأمني الفرنسي رسالة من السفير كامبون بتاريخ 12 أفريل 1913 ببرلين الألمانية تتحدث عن اتصالات بين السلطات التركية مع باش حانبه للتحضير للعمل العدائي ضد الفرنسيين (L'Évolution ...11-1920;p 6.).

واعتبر أندري سيفري (André servie) بأن محمد باش حانبه عدو للأمة الفرنسية, بحيث وضع نفسه تحت سلطة الدولة العثمانية والقيصر الألماني(André servie141-190;30,p 2)، خاصة وأن القيصر الألماني كان على علم بأن الصراع الدولي قبل عام 1914 قد يؤدي إلى حرب محتملة قريبا في أوروبا، لذلك راح يكسب حلفاء له خارج القارة الأوروبية ويتقرب من السلطان العثماني, كما جاء في إحدى المقالات التي نشرتها جريدة التطور الجزائري التونسي(L'Évolution algérienne et tunisienne) الناطقة باللغة الفرنسية بعنوان ألمانيا والإسلام التي تشير للتقارب الألماني العثماني في بداية 1914، والتعاون العسكري بينهما، لاسيما في الجانب العسكري بوضع ألمانيا قائدا عسكري على رأس القوات العثمانية، والتقرب من السلطان العثماني الذي يسعى لكسب الشعوب الإسلامية للوقوف في الصف العثماني في حالة اندلاع حرب بين الدول الأوروبية في كل من الهند مصر والجزائر وتونس والمغرب وغيرها من الشعوب الإسلامية الأخرى. ولبث أفكاره ودعايته ضد الفرنسيين، فقد كان ينشر جريدة "**المغرب**" (revue du magreb) ويحرر بعض النشرات التي تفضح السياسة الفرنسية في الدول المغاربية (anonyme ;01-011914; p 4).

إن نشاط حركة الشبان التونسيين لم يقتصر على النضال من أجل المسألة المغربية في سويسرا وألمانيا، فقد عرفت الدولة العثمانية نشاطا مكثفا للشباب رغم الظروف الصعبة خلال الحرب العالمية. فقد قام عناصر الحركة خلال عام 1917م بلقاءات في العاصمة التركية إسطنبول، والتي جمعت الشيخ عبد العزيز الثعالبي، محمد الجعايبي، الصادق الزمرلي، محمد باش حانبه وأخاه عليا، الطيب الجميل، إسماعيل الصفايحي وصالح الشريف، وهم مقتنعون بالتمرد على الدولة الفرنسية ووقوفهم إلى جانب دول المحور. A.N.T;13-11-1917; (DOC:32). كما أشارت وثائق أمنيه مهتمة بنشاط التيار الإسلامي في ألمانيا إلى محمد الخضر حسين أصيل مدينة نفطة التونسية بأنه كان مساعد للثائر محمد باش حانبه، واصفة إياه بالعنصر الخطير المتعصب للدولة الفرنسية رفقة زميله عبد العزيز جاويش (S.M.N.T, A.M. E , 1920 ; f:114).

لقد كان نشاط الشيخ صالح الشريف ملحوظا في سويسرا وألمانيا (A.E , 19-04-1919; f:27.) S.M.N.T, A.M) من طرف السلطات الفرنسية، وفي هذا الشأن أبلغ المقيم العام في تونس ستيفان بيشون وزارة الخارجية عن نشاطه المكثف في سويسرا، والتي كان على تواصل مع المناضلين في تونس خلال الحرب العالمية في زيوريخ لوزان السويسرية ومدينة بورن الألمانية خلال عام 1916م.(S.M.N.T, A.M. A.E ,05-04-1919; f:25)

ومن الذين كانت لهم صلة بصالح الشريف مثلا عبد الله بن يوسف من منوبة، وكذلك السيد غاية، الأخوان محمد ومصطفى بن عز الدين اللذين ينحدران من أصول جزائرية مقيمة في تونس، والذين تم نفيهم من الايالة التونسية بتاريخ 10 جوان نتيجة نشاطهم المعادي للسلطات الفرنسية .(A.E , 08-10-1919; f:57 S.M.N.T, A.M)، في الوقت التي تحدثت فيه الأخبار والتي تناقلتها الجهات الأمنية عن جريدة "**العمل الفرنسية**" (l'action française) عن ربط العلاقات بين أنصار الجامعة الإسلامية مع الشيوعيين في العاصمة الدنماركية ستوكهولم، وتخص المناضلين محمد باش حانبه والشيخ عبد العزيز جاويش.(S.M.N.T, A.E; 04-05-1919; f:29..A.M) البشير بن عبد الرحمن، ومحمد باس الجازولي، كما أكدته المخابرات الفرنسية في القاهرة خلال شهر جويلية 1919م محاولتهم الدخول إلى الأراضي الليبية. (S.M.N.T, A.M A.E; 19-08-1919; f:51). بعد خيبتهم في الإمبراطورية الألمانية التي انهزمت ضد دول الحلفاء.

وما إن وضعت الحرب أوزارها وتأكد انتصار دول الحلفاء على المحور فقد سارعت العناصر التي كانت تقوم بالدعاية ضد الفرنسيين، فقد همت هذه العناصر إلى مغادرة الأراضي السويسرية والألمانية، ومن هؤلاء مثلا صالح الشريف، محمد باش حانبه.

وعن صدى دعاية حركة الشبان في تونس وتنسيقها مع العناصر الوطنية التونسية، فقد ذكر أأحمد توفيق المدني بأنه عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى1914م، ظهرت فكرة إعلان الثورة في تونس، بإيعاز من طرف أحمد توفيق المدني والصادق الرزقي (المدني، 1973، ص 85) في ديسمبر 1914م بالاشتراك مع أحمد نجاح، محمد النيفر، محمد السعيد الخلصي والهادي مزاح، تلك الجماعة التي كانت تدرس الخطط والمنهاج العملية في الاجتماعات السرية التي انتهت إلى تفجير ثورة اعتمدت على الأسس التالية: (المدني، 1973، ص87،88.)

– بث دعاية واسعة لدى الجيش والشعب التونسي ضد تجنيد فرنسا للأهالي كقطعان في الحرب العالمية الأولى.

– مواجهة فكرة الخمول واليأس التي أصابت المجتمع التونسي منذ حوادث الزلاج.

– الاتصال بقبائل بني زيد في الجنوب التونسي، لمواجهة الحامية العسكرية الفرنسية المتواجدة في تلك الجهات، وفتح جبهات متعددة للجيش الفرنسي.

– بمجرد خروج الحامية الفرنسية من منطقة قفصة يتم مهاجمة الثكنات التي يوجد فيها الأسرى الألمان حتى يكونون ضباطا للمقاتلين التونسيين والزحف على مدينة قابس واحتلالها.

– الاعتماد على الطلبة الزيتونيين الجزائريين من جهات تبسة، عين البيضاء وقسنطينة لبث الدعاية الحربية.

– عندما تنجح العملية يستطيع المواطنون التونسيون خوض العمل.

– تنشأ شفرة موحدة للاتصال (بوطيبي،2012، ص153).

لقد تم تكليف أحمد توفيق المدني بالاتصال مع الجهات الجنوبية، وعلى رأسهم علي فارس قصد الاتصال بالقبائل، وتحضير الأسلحة تحت التستر وراء تجارة التمر بعد أن انقطع عن الدراسة، لكن هذا المشروع لم ينجح بسبب وشاية أحد الأطراف الذين انظموا إلى الجماعة السرية، وتم إبلاغ الأمر إلى الأمن الفرنسي، الذي انتهى

بإلقاء القبض عليه يوم 14 فيفري 1915م، وبذلك فشل مشروع الثورة في المهد(بوطيبي، 2012، ص154)، خلال الحرب العالمية الأولى، تلك الحرب التي جندت خلالها السلطات الفرنسية حوالي 56000 مقاتل، و45000 عامل من الشباب التونسي خدمة للحرب، وفقدت تونس 45000 ضحية من فلذات أكبادها. (العباسي،1987، ص 23.).

6.النضال المغاربي المشترك بين الجزائريين وحركة الشبان التونسيين

لقد جمعت بين الجزائريين وعناصر حركة الشبان التونسيين روابط مشتركة، ساهمت في حتمية التواصل والنضال المشترك بين الطرفين، والحقيقة عندما نشير للحركة الوطنية التونسية وحركة الشبان التونسيين، فإننا نتذكر العناصر ذات الأصول الجزائرية الفاعلة في الحركة الوطنية التونسية ومنها حركة الشبان التونسية، مثل حسن قلاتي، عبد العزيز الثعالبي صالح بن يحي وغيرهم من أسرة قلاتي، منهم عمر ومصطفى قلاتي وغيرهم من الجزائريين الذين ساهموا في بناء الحركة الوطنية التونسية.

فربما تأزم الوضع في البلاد التونسية بعد أحداث 1911 /1912م، واحتلال الايطاليين لليبيا قد زاد من تماسك الجزائريين والتونسيين، فقد بينت الوثائق الأمنية الفرنسية عن وجود بعض الرسائل في حوزة المناضل التي كانت على علاقة مع حركة الشبان التونسيين وعن وجود جمعية سرية إسلامية في الجزائر، وقد ظهر في الجزائر جريدة "**الإسلام**" لمحررها الصادق دندان وصديقه الدكتور بن تامي، فالأول أبدى قبول التعاون مع الصحفي التونسي محمد عز الدين القلال، وذلك بترجمة المقالات الصادرة في جريدته بالقسم العربي، مع العلم بأن هناك فئة من الجزائريين سافرت خلال شهر جوان إلى باريس بقيادة بن تامي لعرض المطالب الإسلامية الجزائرية على الحكومة الفرنسية، وخلال هذه الفترة تم ربط علاقات التعاون بين الممثلين الجزائريين والتونسي باش حانبه، ومن بينهم أحمد بن قريتلي ممثل سكان عن مستغانم (A.N.T; 03-03-1913; DOC:1.).

كما كان للحركة الشبان التونسيين تواصل الجزائريين بشتى الطرق والوسائل، وفي إطار هذا التواصل نذكر مختار صالحي أحد قدماء تلامذة الزيتونة الذي كان يشتغل وكيلا في المحاكم التونسية (A.N.T; 14-08-1918; DOC:110-111.). وكان يحضُرُ لقاءات وتجمعات حركة الشبان، كما هو الحال للاجتماع الذي أقامه عبد الرزاق السباق على إثر زيارة محمد باش حانبه إلى تونس بعد نفيه لإسطنبول في النصف الثاني من شهر جانفي 1914م، والذي حضره إلى جانب الأعضاء الثلاثة، كل من محمد كمون وكيل حبوس، محمد الرياحي كاتب جمعية، صادق الزمرلي، أحمد وحسن قلاتي، الهادي بن طاهر متصرف إداري في المعهد الصادقي وأحمد (A.N.T; 20-01-1914; DOC:6.).

وقد ساهم النادي التونسي (le cercle tunisien) في مقاربة الأفكار بين الحركتين الجزائرية التونسية، فخلال سنة 1916م قام بعض الأعضاء البارزين النادي التونسي، وهم عمر قلاتي وابن أخيه حسن قلاتي وعلي بوحاجب **بزيارة** [2] إلى الجزائر، إذ عرج حسن قلاتي وعمر بوحاجب على مدينة قسنطينة أولا وصولا إلى الجزائر العاصمة، في الوقت الذي قصد العاصمة مباشرة في 24 أفريل 1916م. وخلال إقامته مدة يومين في مدينة

قسنطينة تقابل حسن قلاتي مع الدكتور موسى قاسم والمحامي مختار الحاج سعيد، كما تقابل في الجزائر العاصمة مع محمود يوسف موهوب إبراهيم، هذا الأخير الذي كانت له علاقات مع التونسيين من خلال زيارته للبلاد التونسية، ورغم حرص المخابرات الفرنسية على أخذ المعلومات حول الحوارات الجارية بين أطراف التونسيين والجزائريين، فإنها لم تصل للحقيقة، خاصة وأن تلك الزيارات شهدت مقابلات هامة بن حسن قلاتي وعلي بوحاجب مع إخوانهم الجزائريين، وجماعة الشباب الجزائري أمثال، عمر بوضربة والإخوة تمزالي من بجاية، ولكحل عبد العزيز، كما تقابلا أيضا مع الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر.

هذا وأشارت جريدة "**لادیباش تینیزیان**" (la dépêche tunisienne) الصادرة بتاريخ 31 أكتوبر 1920م إلى الروابط الأخوية بين حركتي الشباب التونسي وحركة الشبان الجزائريين بقيادة الأمير خالد، كما بينت استمرار العداء الذي كانت تكنه فئة من الشبان المغاربة للفرنسيين بعد نهاية الحرب العالمية التي انتهت بانتصار الفرنسيين على الألمان (anonyme, 13-11-1920;p 6).

وأشارت جريدة المعمر الفرنسي (le colon français) هي الأخرى خيوط النضال المشترك، والتي كشفها السيد بروزازي brousasis ممثل في الغرفة الفلاحية بتونس متسائلا عن موقف الحكومة الفرنسية من العداء الذي كان مدبرا من طرف باش حانبه والدولة العثمانية، بحيث بين الروابط المتينة بين حركتي الشبان الجزائريين والتونسيين بالدولة العثمانية في بداية عام 1914م التي تبين من خلالها قيام النواب الجزائريين الناطقين بالعربية بتقرير مؤكد لربط العلاقات ما بين الشبان الجزائريين والمناضل باش حانبه ممثل التونسيين في جمعية الاتحاد والترقي، هذا الأخير الذي أعرب عن نيته في تنظيم مؤتمر إسلامي في الجزائر بمساعد بعض الجزائريين المتعاطفين معه، أمثال الصادق دندان، الحاج عمر وبن تامي وغيرهم من المتعاطفين الجزائريين (.3 p;30-Anonyme;141-190).

كما كشفت السلطات الفرنسية عن بعض الجزائريين المعادين لها، والذين كان لهم علاقات مع ألمانيا والدولة العثمانية مثل السيد البشير بن عبد الرحمان بن محمد الكرغلي أصيل بلدية جيجل المختلطة، والذي كان قائدا في الجيش الفرنسي، ثم قايد على أهالي جيجل بعد التقاعد، وهو متخرج من كلية الحقوق بالجزائر، ومحرر الجريدة الفرنكو عربية "**الإسلام**" التي كان تصدر في عمالة عنابة ثم في جيجل. ونتيجة انقلابه على الإدارة الفرنسية فقد قامت السلطات الفرنسية بنفيه من الجزائر متوجها إلى مدينة الإسكندرية في الثالث ديسمبر 1913م. وأشارت التقارير الفرنسية عن تلقيه مساعدات مالية بلغت 45000 فرنك فرنسي من طرف الجهات الألمانية. ومن الإسكندرية توجه إلى حيفا ودمشق، حيث أبدى تعاونه مع القايد جمال باشا في الشام، بعدها عاد إلى ألمانيا ثم القسطنطينية وأخيرا في طرابلس.

وكشفت الوثائق الفرنسية عن السيد محمد باي الجازولي من العائلة البشتارزية بقسنطينة، حيث غادر هذا الأخير إلى تونس، وأصبح موظفا في الإدارة الفرنسية، غير أن تغير شعوره اتجاه السلطة الفرنسية حتم عليه المغادرة من تونس إلى إسطنبول في عام 1905م، حيث أصبح موظفا مع أخيه خالد الجازولي في الجمارك

العثمانية في مدينة غلطة، وبعدها عين مدرسا في اللغة الفرنسية في المدرسة الرشدية بولاية أضنة التركية في مارس 1914م، نتيجة العاطفة الجياشة التي أبدوها اتجاه الأتراك ضد الفرنسيين. (A.M.E , 30-10-1919; f:60.)

7.المجلة المغربية والمسألة المغاربية خلال الحرب العالمية الأولى

لقد أسس محمد باش حانبه في المنفى مجلة ناطقة باسم الشعوب المغاربية في 30 ماي 1916م، خاصة بالقضايا التونسية الجزائري المغربية، بالتعاون مع الوطنيين المغاربة منهم الشيخ صالح الشريف و بتمويل من السلطات الألمانية المعادية لفرنسا خلال الحرب العلمية الأولى 1914م/1918م، هذه المجلة التي تميزت بالتذبذب في ظهورها بسبب قلة الاعتماد ت المالية، فكانت تصدر شهريا، ثم أصبحت تصدر كل شهرين، لتعرف تذبذبا خلال فترة الواقعة ما بين 1916م-1918م (صماري، 2021، ص 171)، حيث احتجبت عن الظهور نهائيا بعد خيبة أمل المغاربة في انتصار ألمانيا ضد دول الحلفاء. وكانت هذه المجلة تصل إلى البلدان المغاربية, بحيث تفطنت وزارة الخارجية الفرنسية لهذا الأمر مما جعلها تراسل المقيم العام في تونس ألابوتيت، ففي إحدى التقارير الأمنية أشارت الرسالة عن إرسال محمد باش حانبه هذه الصحيفة إلى محمد شال وكيل مقيم ببن عروس التونسية بناء على معلومات رئيس لجنة المراقبة البريد بتون، بحيث بين التقرير الانعكاسات الخطيرة في البلاد التي ستنجر عن هذه المجلة في حالة عدم مصادرتها من طرف الجهات المخولة بذلك، باعتبار أن محمد باش حانبه كان يقوم بنشاط عدائي ضد فرنسا انطلاقا من الأراضي السويسرية في لوزان خلال انعقاد مؤتمر القوميات، منبها إلى استغلال هذا الأخير للصفحات التي الناطقة باللغة لألمانية للدفاع عن الشعوب المضطهدة من طرف دول الحلفاء، وخاصة القضيتين الجزائرية والتونسية (A.N.T; 24-08-1916; DOC:12.).

والغريب في الأمر أن مجلة المغرب كانت تصل إلى القيادة التونسية, بقصد المعرفة أو التعاطف معا, فقد أحصت الجهات الأمنية الفرنسية عدد لا يحصى من المسؤولين التونسيين الذين كانت تصلهم مجلة المغرب, ومنهم الباي نفسه، شيخ المدينة بلخوجة، محمد الحبيب باي، محمد بلخوجة رئيس البروتوكولات، الوزير الأول الجلولي، دي بورديو مدير الخزينة، شارلوتي مدير التعليم، فيونواس مدير الشؤون القضائية، دي ماس مدير المحكمة الابتدائية، روفيردان وكيل الدولة، سيرايس مراقب مدني، بيو رئيس غرفة المقيم العام، الزاوش، المراقبون العامون في: قابس, قرومبالية، صفاقس, القيروان, الكاف, سوسة. لافون مترجم رئيس المحكمة المختلطة بتونس وقضاة آخرون، قياد جهات قفصة، باجة، قابس، القيروان، زغوان، رئيس محكمة الدريبة بتونس، قاض محكمة قابس، رئيس المحكمة الابتدائية بسوسة، رئيس محكمة القيروان، ...وغيرهم من المسؤولين التونسيين والفرنسيين في البلاد (A.N.T; s.d; DOC:16;17.).

مع العلم بأنه تم د فرض رقابة شديدة المجلة، بحيث أعطى وزير أمرا بتاريخ 13 جوان 1916م يقضي بمصادرة الجريدة ومنعها من الدخول باستثناء بعض الشخصيات الموثوق فنها من طرف الإدارة الفرنسية والتي لا تشكل خطرا على الأمن الفرنسي في تونس، وفي هذا الصدد قام رئيس لجنة المراقبة في تونس يوم 10

أوت1916م بحجز ومصادرة الأعداد التي صدرت في ذلك الشهر ولم توزع إلى بعد طلب الإذن من الجهات الرسمية–أي المقيم العام في تونس– القائمة الاسمية التي يسمح لها الاستفادة من المجلة. (revue du magreb; 14 –8–1916 ; doc 17.)

وفي رسالة أخرى للقنصل الفرنسي في مدينه جنيف السويسرية فإن القنصلية التركية هي التي كانت تقدم الدعم المالي لجريدة المغرب ولمديرها محمد باش حانبه، وكان هذا الأخير يعيش في وسط الجالية التركية المقيمة في مدينة جنيف. وكانت المقالات التي تتعرض للشعوب المضطهدة تترجم للغة التركية حتى يتسنى للأتراك والعرب المقيمين في سويسرا من قراءتها، وغير بغيد فإن المجلة كانت ترسل إلى المشرق العربي وبالذات إلى سوريا وتركيا (A.N.T; 02–09–1916, DOC:20;21.).

8.مؤتمر القوميات والدفاع عن المطالب الجزائرية التونسية

عشية انعقاد مؤتمر القوميات بمدينة لوزان السويسرية سافر محمد باش حانبه إلى المدينة المذكورة سابقا في شهر جوان 1916م، ووفقا للمعلومات الأمنية الفرنسية فقد التقى هذا المناضل بشخصيات قومية شاركت في المؤتمر، ومن هؤلاء: أوتي البلجيكي otier، الرئيس كابريس gabrys، النقيب بليسييه الفرنسي، ومؤسسي اتحاد القوميات كل من راي وأنتوان الفرنسيين المقيمين في جهة فارفي، كلابار وموتو من جنيف السويسريين. (A.N.T; 26–09–1916,; DOC:23;24.)

ومن بين الشخصيات العربية التي شاركت في هذا المؤتمر في مدينه لوزان السويسرية، محمد باش حانبة باسم الجزائر وتونس، فريد بك ممثلا لمصر، الذين رفعوا مطالب الشعوب المستعمرة، والمطالبة بالاستقلال. (A.N.T; 14 –18–1916 ; doc 17.)

فخلال الندوة الثالثة للقوميات قدمت حركة الشبان التونسيين تقريرا حول المطالب الجزائرية التونسية تم من خلالها شرح الرابطة الأخوية بين الجزائريين والتونسيين. الفطنة والكادحة الذين ينتمون لحضارة راقية، وأن ممارسة حقوقهم وحرياتهم لا يكون باسم شعوب منحطة ولا موضوعة تحت قوانين عدلية.

لقد تم وصف النظام الرقابي والتعسفي الذي تم تطبيقه عن طريق الغرفة الفلاحية ومشرعي البرلمان الفرنسي وبواسطة الإدارة القهرية المستبدة المفروضة على الشعبين. التي فرضت علينا السيطرة الإدارية، قانون الأهالي، المحاكم الزجرية والعقابية في الجزائر، العدالة الإدارية للدولة والقياد في تونس، الضريبية غير العادلة، غياب تمثيل الأهالي في البلدين، ضرب التعليم، غياب التعليم العمومي ومصادرة الأراضي وغيرها من الممارسات الفرنسية في البلدين، النفي التعسفي للسكان، نظام الغابات، غياب حرية الصحافة وحق التجمعات...والقضاء على الطبقة البرجوازية في الجزائر وتونس.(Anonyme ;1916 ; p66). كما تطرقت المداخلة للوضع المالي للجزائريين حسب شهادة الانجليزي دي فرو (Devereux) بأن الازدهار المالي في الجزائر ليس كما عليه الحال في العالم الإسلامي، وأن الإدارة الفرنسية قامت بشيء لتحسين التطور لدى المسلمين. وأن الجزائريين والتونسيين يعانون على حد سواء من الضرائب المفروضة عليهم، ولا يجنون أي فوائد منها، كما أن الجزائريين يعانون من

سوء المعاملات في البلديات.(Anonyme ;1916 ; p66).

ووصف التقرير ذاته النظرة المستقبلية القلقة للشعبين الجزائري والتونسي، وأن الأمن والازدهار لا يسود إلى بتوفر الحرية والعدالة الاجتماعية. باعتبار أن العدالة تقتضي أن مؤدي الضرائب يجب أن يستفيد مقابل ما يدفع من ضرائب، وأن العدالة لا تحرم الناس من التعليم من أجل شق الطرقات ومد السكك الحديدية، وبناء قاعات الملاهي والمسرح، وإضاءة مدن ليست ذات أهمية كرى ودفع الاشتراكات للمؤسسات الموسيقية واليانصيب وغيرها على حساب سعادة السكان المحليين(Anonyme ;1916 ; p67)، وانطلاقا مما سبق فإن المطالب الجزائرية التونسية تتمثل فيما يلي:

- قانون يحمي الأحوال الشخصية.
- قوانين شخصية والمطالبة باللغة العربية للتونسيين والجزائريين.
- التعليم الإجباري في المدارس الابتدائية باللغة العربية.
- تأسيس مؤسسات للتعليم الثانوي والتعليم العالي.
- المساواة إمام القانون، في الضرائب والفوائد والسياسية.
- إصلاح وتلطيف القوانين المتعلقة بالغابات. وعموما فالمطالب تتمثل في الحقوق المشتركة، الحرة والعدالة. (Anonyme ;1916 ; p68).

لقد ساندت حركة الشبان التونسيين المسألة الليبية، حيث أسس علي باش حانبه ورفاقه لجنه مساندة القضية. وشهدت الحرب العالمية انعقاد مؤتمر رابطة حقوق الإنسان خلال شهر نوفمبر 1916م، الذي صادق على وحدة حقوق الشعوب الصغرى الكبرى وحقها في الاستقلال. كما عقد مؤتمر ثاني لنفس الرابطة في نوفمبر 1917م، حيث طرح السيد موتي ممثل مقاطعة الرون الفرنسية تقريرا بين فيه وضعية خمسة ملايين من الجزائريين المهضومين من حقوقهم عكس المليون فرنسي في الجزائر الذين يتمتعون بحقوقهم. (ملف 2-2010، ص 18).

خاتمة

تعتبر حركة الشبان باكورة الحركة الوطنية، حيث مثلت مرحلة الانتقال من النشاط الإصلاحي إلى العمل السياسي في تونس خلال فترة الاستعمار الفرنسي للبلد. هذه الحركة التي ضمت عناصر مختلفة الاتجاهات والمشارب، لكنها التقت وتقاطعت في مطالبها الإصلاحية السياسية قبل عام 1911. لتبدأ مرحلة جديدة تميزت بالصدام مع السلطة الإدارية لحكومة الباي التونسي والسلطة الاستعمارية التي كانت تتحكم في هذا الأخير، وتوجه قراراته السياسية.

تعرضت حركة الشبان لمضايقات ومحاكمات إدارية من طرف السلطة الحكمة في البلاد، أدت إلى نفي قيادي الحركة ومناضليها إلى خارج الديار التونسية، والبعض الآخر غلى مختلف المناطق الأخرى في البلاد.

إن نفي العناصر القيادة التونسية لم يحد من نشاط وعزيمة هؤلاء، فقد وجد هؤلاء الشبان أرضية سياسية خصبة في أراضي المنفى، مستغلين نمو نشاط حركة الجامعة الإسلامية في الدولة العثمانية للتعبير عن عدائهم

ومطالبهم السياسية ضد الإدارة الفرنسية، كذلك ظروف الحرب العالمية الأولى 1914–1918، التي ساعدت في دعاية سكان شمال إفريقيا لاتخاذ موقف العداء والتحريض ضد دول المحور، التي تبنتها العناصر الوطنية من التونسيين والمغاربة في الإمبراطورية الألمانية وسويسرا للمطالبة بالتحرر الشمال الإفريقي.

لقد عملت حركة الشبان التونسية على المطالبة والاهتمام بالقضايا المغاربية المشتركة من اجل التحرر والاستقلال، مستغلة كل الظروف الممكنة من خلال الدعاية بواسطة الجرائد والكتابات، والمؤتمرات الدولية، بالتعاون مع العناصر المحلية للشعوب المغاربية المحتلة من طرف دول الحلفاء.

لقد فشلت الدعاية والأنشطة السياسية لحركة الشباب المغاربة في أوربا بعد انهزام دول المحور في الحرب العالمية الأولى، وهذا ما جعل حركة الشبان التونسيين تحول نشاطها إلى المشرق وبالخصوص إلى مصر العربية، ليستمر النشاط باسم النضال المغاربي المشترك تحت قيادات ومناضلي الأحزاب السياسية التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية وانعقاد مؤتمر الصلح الذي كان يحمل في طياته فكرة تقرير مصير الشعوب التي حملها الرئيس الأمريكي ودرو ولسن، ومنها ظهور الحزب الحر الدستوري التونسي 1920م، الذي أصبح يشكل اهتمامات التونسيين بدلا من حركة الشبان التونسيين.

التعليقات والشروحات

1 صدور أمر من الباي ينص على معاقبة جماعة حركة الشبان التونسي في 13 ماي 1912م. نصت على جملة من العقوبات، أنهت مشكلة مقاطعة الطرام، وكانت العقوبات كالتالي: نفي الشاذلي درغوث والصادق الزمرلي من تونس العاصمة إلى مدينة تيطاوين، نفي حسن القلاتي إلى الجزائر، طرد علي باش حانبه إلى الدولة العثمانية (صالح العقاد، مرجع سابق، ص 160.)

2 دامت تلك الزيارة للجزائر من 24–أفريل–1916 إلى غاية 2 ماي بالنسبة لعمر قلاتي، حيث استغلها لزيارة أقاربه من الجزائر، بينما استمرت إلى غاية 6 ماي من نفس السنة لكل من حسن قلاتي وزميله عللي بوحاجب (ANT , 09/05/191,6SD :12/523.).

قائمة المصادر والمراجع

الأرشيف القومي التونسي (A.N.T)

1. A.N.T; "الحمد لله "; -25-02-1911; S: E;C: 550; DOS:30/15, S DOS :61; DOC:87.
2. A.N.T;" **au sujet de Mohamed bacha** ";26-09-1916, s.d ;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:23;24.
3. A.N.T; "Cher ami "; 03-1914 ;S:E;C: 550; DOS:30/15, S DOS :61; DOC:147.
4. A.N.T; "**Cher ami** "; 30-10-1911; S:E;C: 550; DOS:30/15, S DOS :61; DOC:64.
5. A.N.T; **"NOTE";** 25-03-1914; S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:14.
6. A.N.T; **"NOTE";** s.d ;S:E;C: 550; DOS:30/15; S DOS:61;DOC:118.
7. A.N.T; *"rapport* "; 13-11-1917;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:32.
8. A.N.T; "**surveillance politique des indigènes** "; 14-08-1918;S:E;C: 550; DOS:30/15; S DOS :61; DOC:110-111.
9. A.N.T; " **revue du Maghreb destinataires** "; s.d ;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:16;17.
10. A.N.T; **"Cher ami** ";15-05-1915; S:E;C: 550; DOS:30/15, S DOS :61; DOC:64.
11. A.N.T; "**concern ant Mohamed Ben ahmed bach hamba**"; 26-01-1921; S: E;C: 550; DOS:30/15; DOC:41.
12. A.N.T; "**le président du conseil; ministère des affaires étrangères…** "; 06-02-1914;S:E;C: 550; DOS:30/15; S DOS:61;DOC:144.
13. A.N.T; **"M. Raspoulé chargé d'affaires Italie a Paris** "; 31-08-1915 ;S:E;C: 550; DOS:30/15, S DOS :61; DOC:161.

14. A.N.T; **"NOTE";** 03-03-1913; S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:1.
15. A.N.T;A.N.T; S:E;C:550; DOS:30/15; S DOS:61;DOC:122;126.**"NOTE";** 03-03-1913;S:E;C: 550; DOS:30/15; S DOS:61;DOC:117.
16. A.N.T; **"NOTE**"; 12-09-1913 ;S:E;C: 550; DOS:30/15; S DOS:61;DOC:118.
17. A.N.T; **"NOTE";** 16-01-1911; S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:5.
18. A.N.T; **"NOTE**"; 16-06-1913; S:E; C: 550; DOS:30/15; DOC:3.
19. A.N.T; **"NOTE**"; 20-01-1914;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:6.
20. A.N.T; **"NOTE**"; 21-01-1914; S:E ;C: 550; DOS:30/15; DOC:45.
21. A.N.T; **"NOTE**"; s.d ;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:133.
22. A.N.T; "**au sujet de la revue du Maghreb** "; 24-08-1916; S: E; C: 550; DOS:30/15; DOC:12.
23. A.N.T; "**louange a dieu** "; 02-kada-1329 h ;S:E;C: 550; DOS:30/15, S DOS :61; DOC:63.
24. A .N.T; **"NOTE";** 11-11-1912;S:E;C: 550; DOS:30/15, S DOS:61; DOC:113.
25. A.N.T; **"NOTE**"; 15-10-1913;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:4.
26. A.N.T; **"NOTE";** 23-03-1914;S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:7.
27. A.N.T; "**séquestre Taieb el Djamil et Mohamed Bach hamba** "; 04-08-1917; S:E; C: 550; DOS:30/15; DOC:27.
28. A.N.T, **Le Gouverneur Général de L'Algérie à Monsieur Le Résidence Générale De France à Tunis** ; 09/05/1916. S:E- C:550 - DOS:30/50-SD :12/523.

أرشيف المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية التونسية:(S.M.N.T)

29. S.M.N.T, M.R.E, B :23 ;S : Tunisie 1917/1937, D : 389 ; **le ministère des affaires étrangères a résident général Tunis**, 19-7-1937 , f5/30.
30. S.M.N.T, M.R.E, B :23 ;S : Tunisie 1917/1937, D : 389 **; le ministère des affaires étrangères a résident général Tunis**, 19-7-1937 , f5/30.
31. S.M.N.T, M.R.E ,B :23 ;S : Tunisie 1917/1937, D : 389 **; le ministère des affaires étrangères a résident général Tunis**, 19-7-1937 ;f 7/32.
32. S.M.N.T, M.R.E, B :23 ;S : Tunisie 1917/1937, D : 389 ; le ministère des affaires étrangères a résident général Tunis, 19-7-1937 ,f11/36.
33. S.M.N.T, M.R.E, B :23 ;S : Tunisie 1917/1937, D : 389 ; **le ministère des affaires étrangères a résident général Tunis**, 19-7-1937 ,f11/36.
34. A.M.A.E, B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; **menées des nationalistes turcs et panislamistes a Berlin** ; 1920 ; f:114.
35. A.M.A.E, B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1**; sujet des nommés abd el aziz djaouich et mohamed ben ahmed bach hamba** ; 04-05-1919; f:29.
36. A.M.A.E ,B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; **sujet du cheikh saleh chérif**; 19-04-1919; f:27.
37. A.M.A.E, B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; **sujet du cheikh saleh chérif**; 05-04-1919; f:25.
38. A.M.A.E, B:533;S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; **sujet du chiekh chérif agitateur panislamiste** ; 08-10-1919; f:57.
39. A.N.T; " **le consul général de la France a Genève…** " ;02-09-1916, s.d ; S:E;C: 550; DOS:30/15; DOC:20;21.
40. revue du magreb; 14 -18-1916; doc 17.
41. A.M.A.E, B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; **agitateurs musulmans** ; 30-10-1919; f:60.
42. A.M.A.E, B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; **sujet de quatre agitateurs musulmans** ; 19-08-1919; f:51.
43. A.M.A.E, B:533; S:K; C: 102, DOS: 3 ;s/dos:1; affaires étrangères ; 06-04-1920; f:64.
44. S.M.N.T, M.R.E, B :23 ;S : Tunisie 1917/1937, D : 389 ; le ministère des affaires étrangères a résident général Tunis, 19-7-1937 , f5/30.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

45. Ahmed kassab, 1976; **Histoire de la Tunisie contemporaine** .1er Ed, Tunis: imprimerie Société Tunisienne de diffusion,.

46. carmel sammut,1983; **l'impérialisme capitaliste français et le nationalisme tunisien (1881-1914),**GEDIT , Belgique .

الدوريات

47. Anonyme,30-01-1914" **Les députés arabophiles et le manteau néo** "; in R" L'Évolution algérienne et tunisienne", no218.
48. André servie;30-01-19.14 ;"**Au pied du mur" ; in r"** L'Évolution algérienne et tunisienne",10 Emme année , no218.
49. Anonyme ;01-01-1914; **L'Allemagne et l'islam**; in r" L'Évolution algérienne et tunisienne",10 Emme année , no214.
50. anonyme, 13-11-1920, **L'évolution indigène"** ;in R" L'Évolution algérienne et tunisienne"17 Emme année , no86.
51. **"Nos revendications** " ; in R La revue du Magreb, 1erre année; no 2.
52. Anonyme ,13-11-1920,L'évolution indigène ;in r" L'Évolution algérienne et tunisienne"17 Emme année , no86.
53. Anonyme ,01-04-1912;R Stamboul ;46 Emme année; no79.

المصادر والمراجع العربية

54. العباسي أحمد،1987، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودفاعه عن القضية التونسية**، ما أهمله التاريخ. ط 1، تونس.
55. صماري بوبكر،2021/2020، **نشاط الوطنيين المغاربة في المهجر**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر2، الجزائر.
56. توفيق المدني أحمد، 1973، **حياة كفاح (مذكرات)**، ج 1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
57. قزمير خالد،2011 فرسان الحرية 1881–1914، تونس.
58. أحمد خالد,1985، **أضواء من البيئة التونسية، الطاهر حداد ونضال جيل**. ط 3, الدار التونسية للنشر، تونس
59. أحمد خالد، 2001، **عبد العزيز الثعالبي وإشكالية فكره السياسي**. ط1، تونس: مطبعة الدار العربية للكتاب.
60. بوطيبي محمد، 2012، **دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية، ما بين 1900–1930**، دار هومة.
61. العقاد صالح، **المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر– الجزائر – تونس – المغرب**. ط 6, القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
62. العباسي أحمد،1993، **الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودفاعه عن القضية التونسية**، ط1، تونس.
63. حمدان محمد حمدان,1991، أعلام الإعلام في تونس، ط1، الشركة التونسي لفنون الرسم.
64. نور الدين الدقي, 1999، **حركة الباب التونسي، سلسلة وثائق ووثائق من تاريخ تونس المعاصر**، عدد4، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية التونسية.
65. مناصرية يوسف، ،1988، **الحزب الحر الدستوري التونسي 1914–1919**، مؤسسة جواد للطباعة والنشر.